جنوباً نحو ٤٤ دقيقة ثم عادوا ادراجهم لما اكتشفوا خطأهم ووصلوا سالمين ولكن على آخر رمق لانهم اضاعوا مزاقهم كلها ولم يبقَ معهم من الكلاب الاَّ سبعة

وبذل التجارون جهدهم في اصلاح السفينة فوجدوا انها لا تستطيع البقاء هناك شتاء آخر . وفي الثامن من اغسطس انفكَّ عنها قيد الجليد فقام الدوق ورجالهُ وتركوا جانباً كبيراً من الزاد هناك للرجال الذين ضلوا الطريق يكفيهم سنتين اذا عثروا عليهِ . وعادوا بالسفينة الى الخليج الانكليزي فوصلوهُ في يوم واحد لكنهم وجدوهُ مسدوداً بالجليد فبقيت السفينة تجاهد ستة عشر يوماً واشرفت على الغرق مراراً كثيرة واخيراً وصلوا الى بحر لا يغيطهِ الجليد وفي اليوم الاخير من اغسطس وصلوا الى راس فلورا فوجدوا فيهِ رسائل البريد وقد تركتها لهم سفينة الصيد كابلاً في ١٢ يوليو الماضي وفيها كتاب من الملك همبرت ملك ايطاليا . ولما اطَّلع الدوق عليهِ كان عمهُ قد قضى نحبهُ . ووصلت السفينة الى كرستيانا وحياها الرحالة نانسن وقال مخاطباً دوق ابرزوي . " لقد احييتم تاريخ ماركو بولو وخريستوفورس كولمبوس واوغلتم في الشمال يا ابناء الجنوب اكثر مما اوغل ابناء الشمال " . هذا ما ينعلهُ ابناء الملوك في اوربا لخدمة العلم والتجارة فكيف لا ترتقي بلادهم وتسود غيرها

نجيب صروف

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

(تابع ما قبلهُ)

ختمنا الكلام في الجزء الماضي بوصف قصر الحراج وقد فاتنا وصف كثير من المواد المعروضة فيهِ كالقطر وخشب الكينا وصمغ الكاوتشوك والبخور والاعشاب والاوراق والقشور والجذور والاثمار البرية التي تؤكل او تستخرج منها الاصباغ او تعصر الزيوت او يصنع الورق . فانواع القطر تعدُّ بالمئات واضافةً بالالوف والكاوتشوك قطعهُ حتى حجم البراميل الكبيرة والاعشاب والاوراق ونحوها شاملة كل ما يستعمل في الصناعة والطب وكل ما يؤكل وينتفع بهِ . وانواع الخشب والوانهُ تفوق الوصف من الاسود الى الابيض والاحمر والاصفر بكل درجاتهما وكثير منها من قلب افريقية من الكنغو الفرنسوي وغيره

وقد عُرض في هذا القصر كثير من اسلحة مشاهير الرجال كاسلحة قيصر الروس والسيف الذي اهداهُ الامبراطور بونابرت الى القيصر اسكندر الاول سنة ١٨١٧ وفي صفيحة مقبضهِ

ثمانية حجارة كبيرة من الماس ومقبضهُ ذهب وغمدهُ عاج . ومن ذلك زوجا طبنجات من بونابرت ايضاً للقيصر اسكندر الاول احدهما مقبضهُ عاج مرصع بالذهب والثاني مقبضهُ خشب مرصع بالفضة وبندقية الامبراطورة اليصابات بتروفنا مرصعة بالفضة صنعت سنة ١٧٥٠ وبندقية اخرى مرصعة بالذهب وفرد مرصع بالذهب والفضة . وفرود الامير عبد القادر الجزائري مقابضها من الذهب وخشبها مرصع معرَّق وسيع من بنادق بونابرت

لو اردنا ان نباري الامم الاوربية والاميركية في القسم الطبيعي من هذا الباب لوجدنا السبيل الى ذلك سهلاً فعندنا من الاخشاب الارز والجوز والسنديان والزيتون والخرنوب . ومن الاصباغ النيل والفوة والقرظ والسماق . ومن الصموغ الصمغ العربي واللبان والكثيراء واللاذن . ومن العقاقير الصبر والحنظل وعرق السوس . ومن الياف النبات القطن والقنب والكتان . ومن نتاج الحشرات الحرير والعفص والقرمز . ومن نتاج البحر الاصفنج واللؤلؤ وعرقهُ . لكننا اذا جاوزنا ذلك الى ما هو صناعي قصرنا عن ادراك الاوربيين بل عن ادراك اسلافنا الاولين

"الباب العاشر — في الغذاء من طعام وشراب وهو ثمانية فصول اولها في الاتية والمعامل والطرق التي تصنع بها الاطعمة والاشربة كطاحون الدقيق ومعامل النشا والمعاجن والافران وادوات العجن ومعامل الفطائر والبقسماط ومعامل الحلاوة ومعامل الثلج وحفظهِ وحفظ اللحوم والاسماك من الفساد وحفظها وحفظ الخضر والاثمار في العلب ومعامل السكر وتكرير السكر ومعامل الشكولاتة والكوكو ومحمصات البن ومقالي الحبوب والاناييق وما يتبعها من آلات التقطير ومعامل الغازوزة والخمارات الى غير ذلك من معامل الطعام والشراب . والفصل الذي بعدهُ يشمل انواع الدقيق والحبوب المنشورة ونشا البطاطس ودقيق الارز وجريش العدس واللوبياء وغيرها من الفطائي والشعيرية والماكروني والسميد وطعام الاطفال ونحو ذلك

والفصل الذي يليهِ يشمل كل انواع الخبز والرقاق والفطائر وقد عرضت آلات هذا الفصل مع كثير من آلات الفصل الاوَّل من فصول هذا الباب على ضفة السين الشمالية فراراً من دخان افرانها وحرنارها . فيرى الناظر هناك جميع ادوات الخبز وانواع المعاجن والافران التي تخبز الرغيف الذي يبلغ في الطول ثلاث اذرع او اربعاً من الارغفة الطويلة او يبلغ قطرهُ ذراعين من الارغفة المستديرة تارةً من العجين الخمير وطوراً من العجين الفطير . ويرى ما يفوق الوصف من اشكال الاقراص والفطائر والرقاق والطلم والبقسماط والكعك وسائر انواع الخبز التي بلغ خبازو باريس غاية التفنن فيها وفي عرضها داخل العلب المزوقة والسلال المنمقة . وقد رأيت قرب معرض "لولو" المشهور بجودة كعكه ولذة طعمهِ سلاً هائل الكبر يشبه

برانيط النساء العالية في شكلٍ مدنّى من سقف وتحتهُ صبرة بل راية عظيمة تخروطية الشكل من انواع الكعك "والبسكويت" المختلف الاشكال والالوان كأن ذلك الكعك انهال كلهُ من السقف وتراكم تحتهُ عالياً كالتل

والقسم الذي بعد هذا يشمل انواع الملبسات والمربيات والمعاجين والحبوب المطيبة والمسكة والطلام فكل ما يباع في اسواق القطر المصري من الملبس الافرنجي داخل العلب وخارجها ومن المربيات والمعاجين الحلوة يصنع ويعرض في المعرض. وزد على ما تقدم مشروبات القهوة والشاي والشيكولاتا (الشيكوريا) ونحوها والملح والبهارات والتوابل والافاويه والمواد الحريفة كالخردل والكمزي وجميع الاسواق الحريفة. ويلي هذا فصل تخلص بحفظ اللحوم من الفساد إما بالثلج او بمجاري الهواء الباردة او بغيرها من الوسائط وبصنع اقراص اللحم واقراص الشوربا وخلاصات اللحوم وحفظها. وبالبراطين وبالسمك المثلج والمقدد والمكبوس في البراميل او في الزيوت والعلب وبالثمار اليابسة وغيرها

واما الفصول الثلثة الباقية فتضم جميع انواع الخمور والعصير والمشروبات الروحية والمشروبات الحلوة وقد اشترك عارضو فصل الخمور والمسكرات مع عارضي فصل الكرم وعددهم سبعة آلاف عارض وانشأوا لعروضاتهم مباني وحانات وخمارات تسمى بمدينة الخمور فالعارضون من جهات "بورجون" في فرنسا شادوا حانات بديعة على مثال المباني الفرنسوية القديمة منذ ٦٠٠ او ٧٠٠ سنة فيها خمور بورجون مثل خمر ديجون وغيرها من خمورهم الشهيرة وآخرون بنوا قبة بديعة الزخرفة وعرضوا فيها خمر "ارمنياك". وخمارو جهات "شارنت" اختاروا بعض الابنية القديمة التاريخية في جهاتهم وبنوا حانات على شكلها عرضوا فيها خمور انكنياك التي طار صيتها في الآفاق كما يطير سهم بعقول مدمنيها. وعارضو جهات "الجيروند" شادوا قصراً بديعاً وعرضوا فيهِ خمورهم الشهيرة كخمر مَدُوك وخمر جراف وخمر برساك وغيرها. وانشأ بعض عارضي الشمبانيا حانة ذات جنات معلقة تبهج الناظرين على ان كل تلك الحانات والقصور لا تكاد تذكر بجانب القصر الذي أنشأتهُ لجنة من تجار الشمبانيا وجعلتهُ آية في الجمال والزخرفة والاتقان يتهافت المصورون على تصويرهِ لحسنهِ كما يتهافت الشربون على شرب خمورهِ. ففيهِ حانة يباع فيها كل يوم خمر من خمور الشمبانيا التي يصنعها محل من المحلات العارضة فيهِ. وفيهِ خمارة تصنع فيها الشمبانيا امام الناظرين ثم تصب في قناني وتحلى ويشد عليها بالطين. ويلي هذه الخمارة مخزن تلصق فيهِ الاوراق على ٣٠٠٠ قنينة من تلك القناني باسم الشمبانيا وصانعيها وتلبس افواهها المسدودة ورق الزنك ثم توضع في الصناديق والسلال

لتصدر الى الاقطار. وفي الطبقة العلوية من هذا القصر قاعة للاستراحة وتحل لشرب الشمبانيا تعرض فيهِ خمور واحد وثلاثين من العارضين

ويطول بي الكلام جدًّا لو اردت استيفاء وصف هذا القصر وغيره من البنايات والحانات الكثيرة التي اقامها العارضون في مدينة الخمور. فاقتصر على ذكر حانة ينتها لجنة من باعة الخمور تعرف "بسنديك سومور" على عجلات تدور بها من الصباح الى المساء فترى الناظرين كل ما هو معروض فيها . وقد صنع بعضهم دنًّا لم يسبق لهُ مثيل في الكبر والاتساع لو ملئ خمرًا لوسع ٣٦٠٠ متر مكعب منها اي ما يكفي نحو اربعة ملايين نفس او مضاعف اهل باريس على ان هذا الدن الذي يوهم ظاهرهُ بانهُ وعاء للخمر ليس كذلك في الحقيقة بل ان من يدخل اليهِ يجدهُ بناية فخيمة ذات اربع طبقات تحتوي اربعة وخمسين كشكًا او حانًا لبيع الخمور وفي الطبقة الرابعة منهُ خمارة وموسيقى تطرب الشاربين

على اني اذا اقتصرت على ذكر طرف مما صنعهُ باعة الخمور ولم اذكر بعض ما صنعهُ غيرهم فانما اؤدي الى ذهن القارئ صورة ناقصة التصور فان محل مينيه المشهور بالشكولاته التي يصنعها ويصدرها الى جميع اقطار المعمور جعل معرضها مما يخلب العقول فبنى بناء عظيمًا على مثال اول سفينة شراعية جابت بحبوب الكاكاو التي تصنع الشكولاته منها الى فرنسا في عهد الملك لويس الخامس عشر وركَّب عليهِ ما كان في تلك السفينة من الطبقات والسواري والدقل والحبال وما شاكل . وجعل اسفل هذه السفينة معملاً للشكولاته ركَّب فيهِ عددهُ وآلاتهِ ووضع فيهِ عمالهُ يعملون الشكولاته امام عيون الناظرين ويوزعون شيئًا منها مجانًا على جماهيرهم من حين الى حين فذلك تراها مزدحمة بالناس دائمًا ازدحامًا لا مثيل لهُ الاَّ حيث يوزع الطعام او ترى "الفرنج" مجانًا . وجعل ظهر السفينة والطبقات التي عليهِ حوانيت يبيع فيها البائعات ما يصنع من الشكولاته مغلية او مبردة بالثلج الى غير ذلك من المشروبات والمأكولات. ووضع في وسطها بين ظهرها وقعرها صور البلاد التي ينبت فيها الكاكاو وقصب السكر وغيرها مما تصنع الشكولاته منهُ . وقد اذكرني توزيع الشكولاته مجانًا محلاً اميركيًّا يوزع الطعام مجانًا على كل من يصعد اليهِ فوق معرض الآلات الزراعية الاميركية . وطعامهُ هذا الوان عديدة منها جامد ومنها سائل ومنها حلو ومنها مالح وكلها مصنوعة من الذرة الاميركية وقد ذقتها فاستطيبت اكثرها وقصد طابخها وموزعها مجانًا على المئات والالوف التي تقصد محلهُ في المعرض يوميًّا ان يقنع الناس بانهم يستطيعون صنع الذرة الوانًا عديدة مختلفة الطعوم بثمن بخس لا يذكر فيستغنون بها عن سواها من المآكل الثمينة . ولما كانت الذرة اشهر ما يقتات بهِ

الفلاح المصري فيخلق بالذين يهمهم امر راحته ولذته في معيشته ان يوجهوا عنايتهم الى هذا الحل الاميركي وطبيعي عساهم ان يهتدوا الى تحسين غذاء الفلاح المسكين بلا زيادة تذكر في نفقاته

وقد نافس صانعو النبيذ من الاعشاب والحبوب كالبيرة والجعة والمزر وصانعو العصير من التفاح صانعي الخمور والارواح في خمارتهم فان صانعي البيرة من الفرنسويين اتقنوا وانشأوا بناء حسناً جداً من احدث طراز لصنع البيرة يصنعونها في طبقته السفلى ويعرضونها للزر والذوق في طبقته العليا وهذا صانعو نبيذ التفاح حذو صانعي البيرة فانشأوا له محلاً جميلاً كثير الزينة والزخرفة وعرضوا فيه نبيذاً معتقاً منذ عشرين وثلاثين سنة

اسلفت ان بابي الزراعة والغذاء معروضان في قصر خاص بهما يسمى باسمهما . ولكن في وسط هذا القصر قاعة تعدُّ من اعظم محجزات هذا المعرض وتسمى بقاعة الاعياد قائمة على ارض قائمة الزوايا طولها ١٦٥ متراً وعرضها ١٤٢ متراً وهي معقودة عقداً مستديراً قطرة دائرته ٩٠ متراً وتسع ٢٠ الف نفس . وهذا العقد قائم على ثمانية اركان عظيمة وثمانية اعمدة كلها من الحديد ووزنها ١٢٠ الف كيلوغرام (٢٦٤٠ قنطاراً مصرياً) وفيها من النقش والزخرفة والصور والمحوتات شيء كثير ولكن الكلام على ذلك يكون عند وصف جمال المعرض لا وصف عظمته وكماله فلا اتعرض له هنا "

وقد اقتصرت على ما ذكره اخي الدكتور غريب في هذا الباب لانهُ جمع قاموسي ولم يترك لي مجالاً لازيد عليه شيئاً يذكر الاَّ الالتفات الى ما عرضتهُ البلدان الأخرى في هذه الفصول فانها كلها يارت فرنسا وبز لم تبلغ شأوها وعرضت من الآلات والادوات والمصنوعات ما يفوق الوصف فترى المطاحن الالمانية تطحن الدقيق على درجات شتى من الخشونة والنعومة وتعجنهُ وتخبزهُ وآلات التبريد السويسرية تبرد الماء وتجمدهُ . ومن اغرب ما عُرض من هذا القبيل آلة اميركية تضغط الهواء حتى يسيل ويصير ماء فترى الآلة التي تضغطهُ تدور من غير ان تسمع لها صوتاً كأنها جبَّار عظيم يعتمد على قوة ذراعيهِ لا على الصوت والجلبة والهواء ينضغط فيها فتتقارب دقائقهُ بعضها من بعض حتى تتغلب قوة الجذب التي بينها على قوة الدفع فتترك النفور والنشوز وتعود الى الوفاق والوئام فتتجاذب وتتماسك وتصير مثل الماء الذي نشربهُ وتجرى الى مستودع كبير وهناك رجل يقف كل يوم امام هذا المستودع ويفتح حنفية فيهِ امام الناظرين وهم مجتمعون حولهُ عشرات ومئات فينصبُّ الهواء السائل من الحنفية كأنهُ ماء تحت ضغط شديد فيملأ بهِ اناء كبيراً وهو يرغي ويزبد اولاً ما دام الاناء حاراً بالنسبة اليهِ ولكن الاناء يبرد حالاً فيقف السائل عن الارغاء والازباد ويصفو لونهُ فتراهُ ابيض شفافاً لا

يفرق عن الماء القراح واذا لمسته بيدك لم تشعر الاَّ كانك لمست ماء. واذا صُبَّ شيء منهُ في اناء آخر ارغى وازبد اولاً وصعد عنهُ بخار ابيض كثيف يملأ الفضاء فوقهُ حتى اذا برد الاناء الذي صُبَّ فيهِ زال البخار والارغاء. وكان مع هذا الرجل ولد خبيث فجعل يأخذ الهواء السائل بيده ويريني بهِ الحضور فوقع بعضهُ في عيني واذني فذعرت من ذلك في اول الامر لا لانني خفت منهُ حقيقة بل لان اعتصاب الخوف الموروث تفعل فعلاً غير خاضع للارادة. وقدَّمت اسمي الى الرجل فادخلني الى داخل الحاجز الذي بينهُ وبين الناس لكي أتمكن من استيضاح ما يفعلهُ بهذا الهواء فرأيتهُ يضع فيهِ سلك الحديد فيحترق بنور ساطع يبهر العيون ويضع فيهِ سلكين متصلين فيلتهبان معاً ويصبُّهُ في اناء ويضع الاناء في الماء فيجلد الماء على ظاهره ثم يفرغهُ من الاناء فيقع الماء الجامد عنهُ وقد صار كاساً من الجليد . ويصبُّهُ في اناء لهُ ثقب ضيق يسدهُ بفلينة ويضعهُ في الماء فيتمدَّد بعضهُ داخل الاناء ويدفع الفلينة بعنف شديد فتصعد من الثقب كأنها رصاص البنادق . ويضع فيهِ طابة من الكاوتشوك فتصلب ويكسرها فتتكسر كالزجاج. واخذ يربطني وصبَّ فيها شيئاً منهُ فامتلأت دخاناً ابيض كثيفاً ووضع قليلاً منهُ في بربيطة رجل آخر والبسهُ اياها فجعل الدخان يصعد من رأسهِ وحاول الرجل مسح السائل عن شعرهِ فجعل شعرهُ يتكسَّر كانهُ ابر الزجاج فتركهُ حتى طار الهواء السائل عنهُ فعاد الى حالهِ . وكان المراد اجراء مركبات الاتوموبيل بهذا الهواء السائل وامتحان ذلك في مدينة باريس بعد ايام لكنني اظن نفقاتهِ كثيرة تزيد على نفقات غيرهِ من المحرّكات

ولم يعرض من البلدان الشرقية في هذا الباب غير الممالك الصغيرة التي انفصلت عن السلطنة العثمانية وبلاد يابان وقد اجادت كلها في عرض خمورها وسريباتها وحلوياتها ومكبوساتها ونالت الجوائز عليها . ولم تُترك مصر وسورية من غير ممثل في هذا الباب فعرض الخواجه سليم بولاد مجموعة بديعة من خمور لبنان شهد المتحكمون انها من اخر الخمور المعروضة في المعرض واعطوهُ الشان الذهبي. وكنت اتمنى ان نناظر غيرنا في غير الخمور ايضاً ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ

الباب الثامن — في المعادن والتعدين وقد وفاهُ اخي الدكتور نمر حقهُ من الوصف في رسالتهِ التي نشرت في المقطم فرأيت ان اثبتها برمتها هنا ثم اضيف اليها وصف ما منعهُ ضيق الوقت من رؤيتهِ او من وصفهِ قال : "لما دخلت قصر المعادن والتعدين في معرض باريس هذا العصيف ورأيت معجزات الافرنج في استخراج جواهر الارض وفلزاتها من معادنها وفي صهرها واذابتها وسبكها وافراغها ودقها ونقيتها وإلانتها وسائر اساليب صناعتها قلت ان اصلب المعادن

اعظم يد هؤلاء الاوربيين ألين وطوع من العجين . فانهم يحبون الحديد الذكر دقيقاً كالشعر ويفتلونهُ كالحبال ويجدلون القضبان العليظة من الفولاذ الصلب ويضغرونها كقضبان الشجر او يعقدونها الاناشيد كما يعقد الخيط او الشريط ويلوون خطوط السكك الحديدية ويعصدونها كما تلوي "عصيدة" الدبس يد الحلوانية . ويفرغون الحديد صفائح عظيمة تخينة تزن من القناطير الوفاً كثيرة و يطبعونهُ او يطبعون الفولاذ منهُ لوالب ومسامير لا تكاد ترى بالعين لصغرها ودقتها ولا يزن الكثير منها درهماً . ويطرقون سبائك الذهب ورقاً حتى ينفذهُ شعاع الشمس لرقته وتطير نسمات السحر به خفقه

وأعترف للقارىء الكريم اني قصدت قصر المعادن والتعدين وانا اقدم رجلاً وأؤخر اخرى فاني كنت اظم قبل دخولهِ ان الباب الحادي عشر معروض فيهِ وان فصولهُ ثلثة (٦٣ الى ٦٥) وهي حفر المعادن والمقالع وتعدينها اي اخراج فلزاتها وجواهرها وقلع صخورها . وصناعة تلك الجواهر (المعروفة عادة بالمعادن) الكبرى . وصنعتها الصغرى ويتضح الفرق بينهما مما يلي . فكنت كلما فكرت في فصول هذا الباب اتصور الظلام والتراب والاتون والفحم والنار والكور والكير والدخان ونحو ذلك من وحشة المناجم العميقة المظلمة وسواد اماكن الفحامين ودكاكين الحدادين واقابلها بما كنت أراهُ من آيات الحسن والجمال والكمال في معارض الفصول الاخرى فأحجم عن زيارتها مع علمي بعظم فائدتها وأؤخر رؤيتها حتى افرغ من رؤية غيرها . ولم يدر في خلدي اني اجد فيها ما يسرُّ الخاطر او يقرُّ الناظر غير الاجراس المعلقة تحت قبة على قصرها وعددها ٣٢ جرساً اصغرها يزن ٤ كيلوغرامات وقطر دائرهِ ١٩ سنتمتراً واكبرها يزن ٨٤٠ كيلوغراماً وقطر دائرهِ مترو ١٣ سنتمتراً . وهذه الاجراس تقرع كل هنيهة من الزمان قرعاً موقعاً على لحن من الالحان فتشنف باصواتها الآذان

ولكني لما دخلت قصر المعادن والتعدين من البوابة العظيمة التي تلي برج ايفل في "شان دومارس" واجلت طرفي فيهِ طولاً وعرضاً مسافة ٩٦ متراً في ٧٦ لم أكد اصدق ما تراهُ عيناي في طبقتهِ السفلى من الدور والغرف والحجلات والمقاصير والصوامع والقباب والبوابات والارتاج والابواب والصفاح والعمد والسلك والدعائم والاقواس والقناطر وكلها من من الحديد والفولاذ والنحاس مزينة ومزخرفة بما يعجز القلم عن وصفهِ من المصنوعات المعدنية . فان الفرنسويين اقاموا بوابة عظيمة من القطع الحديدية في مدخل القصر وزينوها بالمراجل (الارانات) والصفائح الفولاذية . دخلت تحتها فاذا انا بمرأى من اعمدة عالية قائمة بعضها وراء بعض صدق من شبهها بغيضة كل جذوع اشجارها معادن نابتة . فصرت كيف اتجهت

فيها اجد امامي ابوابًا وارتاجًا من الحديد او الفولاذ او النحاس او غيره من المعادن قائمة على اعمدة واركان واساطين وانابيب عليظة ودقيقة فاقف امامها مذهولاً محتارًا لا ادري ايهما اشدُّ تأثيرًا في نفسي اجمال مناظرها ام قدرة صانعيها البادية دلائلها عليها

قلت ان فصول هذا الباب ثلثة اولها ما تعلق بتخطيط المعادن ومسحها وحفرها واستخراج جواهرها وبحفر المقالع وقلع حجارتها . وذلك يشمل كل ما عُرض من انواع الحجارة والرخام والفحم الحجري والمعادن بانواعها والتراب بانواعه والرمل وسائر المواد التي تلزم للصناعة في كل زمان ومكان . وكذلك الادوات والآلات التي تحفر بها الارض وتستخرج تلك المواد بها منها كالآت السبر والثقب والقطع والقلع والدق والشق والتفريق والجمع . ولما كان تعدين معادن فرنسا ومقالعها يكسبها اكثر من ٢٨ مليون جنيه سنة عني الفرنسويون بعرض فصول هذا الباب عناية تحمد . ولم يقتصروا على عرضها في القصر المذكور بل ان بعضهم فتح شبه منجم قرب التروكاديرو وركب فيه العدد والآلات حتى يرى الناظرون كيف تستخرج بها المعادن . وحفر آخرون شبه مناجم للفحم الحجري والحديد والذهب والملح تحت التروكاديرو ايضًا فيرى النازل اليها كيف تكون طبقات هذه الجواهر وصخورها وكيف يستخرجها المعدنون من مناجمها . وقد منعني ضيق وقتي من رؤية هذه المناجم فاتركه وصفها لمن رآها . على اني رأيت في قصر المعادن والتعدين امثلة لمناجم الفحم الحجري وسائر ما يستعمل فيها لاستخراج الفحم منها وقيل لي ان رؤيتها تغني عن رؤية ما سواها

وقد تفنن اصحاب المقالع في عرض حجارتهم فقطعوها على اشكال شتى وصقلوا ما يصقل منها وتركوا غيره بلا صقل وصفُّوها او بنوها على اشكال غاية في الجمال في اماكن متعددة ليراها الناس ويعرفوا قيمتها وقد رأيت من جملة المعروض منها احجارًا كبيرة يزن الحجر منها من ٢٠ الى ٣٠ الف كيلو قطعها اهل نروج من مقالعهم وارسلوها الى المعرض ترويجًا لبضاعتهم وقد قطع اصحاب معادن الملح (الجبلي) القطع الهائلة الكبرى منهُ وعرضوها في هذا المعرض . وعرضت النمسا معبدًا او مذبحًا مصنوعًا كلهُ من الملح بمبانيهِ ومصليهِ وهو على مثال معبد شهير فيها مصنوع من الملح وقد وصف في متنطف هذه السنة بقلم الاديب الخواجه نجيب صروف . ومن معروضات هذا الفصل ايضًا ادوات حفر الآبار الارتوازية وآلات تهوية المعادن ومصابيح الامانة التي يستنير بها المعدنون وآلات استخراج زيت البترول والغاز والاسفلت والقار والكهرباء وزيوت البترول ومن جملتها زيت غير مكرَّر تزجهُ شركة اميركية (تسمى جالينا أويل كمباني) باكسيد الزئبق وتبيعهُ لتزييت الآلات وعدد السكك الحديدية فاقبلت عليهِ السكك الحديدية

الاميركية اقبالاً عظيماً لما رأته من مزاياه. وقد عرضت هذه الشركة زيتها في جنان خيان قرب مركبات النقل التي صنعها الاميركيون لمصلحة السكة الحديد المصرية وعرضوها هناك وولت ادارة معرضها حضرة الاديب لويس افندي بدور فجعلت شركات السكك الحديدية الفرنسوية تبتاع زيتها لعددها وقطاراتها ولذلك رأيت ان ابنه مصلحة السكك الحديدية المصرية وسائر شركات السكك الحديدية في القطر المصري الى هذا الزيت لعلها تجد فيه منفعة لها

ومن معروضات هذا الفصل ايضاً الفحوم والديناميت لنسف الصخور وقد عرضت في محل واسع يسير الانسان فيه وعيناه تنظران الى الديناميت وقدماه تسرعان للخروج فراراً من شروره وقد ابدع معدنو المجر في ما عرضوه اشارة الى الديناميت ونسوقانهم بنوا حائطاً من اقراص الفحم وقطع من حجارة الحديد وصنعوا تمثال معدّن يوقد النفير وتمثال امرأة خارجة من بين قطع الفحم والحديد اشارة الى انفجار الديناميت . وعرضوا وراء هذا الحائط ما عندهم من الحجارة والفلزات ومن جملتها حجر ذهب قيمتهُ نحو ١٥٠٠ جنيه وحجر شمس (او بال) قيمتهُ نحو الف جنيه . واقاموا بجانب ذلك رتاجاً مصنوعاً كلهُ من ادوات وقطع صغيرة صقيلة من الفولاذ تعد بالالوف ومن مسامير صغيرة كثيرة مصفوفة ومجموعة على شكل الترس فيقف امامها كل مارّ بها لرؤية محاسنها

والفصل الثاني من فصول هذا الباب يختص بصناعة المعادن الكبرى فيشمل كل المصنوعات الضخمة الكبيرة من معروضاتها كالاعمدة والاساطين والقباب والارتاج والابواب الهائلة التي اشرت اليها آنفاً والآلات والادوات التي تصنع بها كالاتاتين التي تصهر المعادن فيها والمخافح والاكيار وادوات صنع الفولاذ والآلات التي يشكل بها الحديد صبّاً ودقّاً وسحباً بجميع اشكاله كالاطارات والقضبان وصفائح البوارج وصفائح البناء والحديد المجعّد والمحاور والدواليب وحدائد البنادق والمدافع والقنابل والانابيب على اختلاف اشكالها الى غير ذلك من مصنوعات الحديد. وفي على آلات صناعة الحديد آلات صناعة النحاس وغيرها من المعادن. وقد بلغت المصنوعات الضخمة من المعادن غاية في الضخامة فالمجر عرضت متقدّم سفينة كلهُ قطعة واحدة من الحديد افرغ في قالب واحد دفعة واحدة وعرضت قالبهُ بجانبهِ . وعرضت ايطاليا قطعاً عظيمة من صفائح الحديد التي تدرّع بها البوارج طول بعضها ١٤ متراً وعلوها متران و ٨ سنتمترات وثخانتهُ ٢٢/٢ سنتمتر وقد افرغت كل قطعة منها دفعة واحدة وعرضت صفائح من الحديد جربت عليها قذائف المدافع فعلم مقدار مقاومتها لما من اثر غرزها فيها . على ان اضخم واعظم ما عرض من هذا القبيل عرض مع مدافع شنيدر في محل الخاص بمعروضات كروزو وسيذكر في بابهِ. وعرض

الفرنسويون صفائح من الفولاذ للابواب طولها ٩٦ مترًا وقد افرغت دفعة واحدة . وخطوطًا حديدية طولها ٥٣ مترًا قطعة واحدة وخطوطًا اخرى مقوية ومفتولة طولها ٢٠ مترًا قطعة واحدة . وقس على ذلك الاساطين العظيمة والانابيب الواسعة الطويلة. وعرض صناع البلجيك دولاب قراش قطره سبعة امتار وقد صُبَّ كلهُ صبة واحدة . وعرض الروس والفرنسويون مراسي السفن الضخمة ودواليبها العظيمة الى غير ذلك مما يطول ذكرهُ و يتعذر وصفهُ

واما فصل صناعة المعادن الصغرى فيشمل معروضات ستين صناعة وتيف كالدبابيس والابر والمسامير والرياش الكتابة المعدنية والازرار على انواعها وسواعد العونات والملوالب باشكالها والملاعق والآلات القاطعة بجميع انواعها ونعال الدواب والبقر . وقد رأيت نعلاً اميركيًا يعرض نعالاً للخيل من الكاوتشوك ويقول انها اصلح من نعال الحديد كثيرًا واحفظ للحوافر منها وربما ارسل منها الى القطر المصري اعتمادًا على مزاياها . وشريط الحديد الشائك الذي يتخذ سياجًا وجميع انواع الشريط وشباك الحديد والسلاسل والزناجير (الكاتك) التي تصنع الآن صنعًا ميكانيكيًا محكمًا بلا لحام . وكل الامتعة والآنية التي تصنع من المعادن وتستعمل في المنازل والجنائن وغيرها وخزائن الحديد التي يحفظ فيها المال وغرف الحديد التي توضع خزائن المال فيها فتقيها من الحريق ويكون لها اقفال سرية لا يعلمها غير اصحابها وهي من احدث المخترعات . وابواب الحديد التي تسع وتضيق حسب مراد صاحبها الى غير ذلك مما لا يأخذهُ عدٌّ ولا يحيط به احصاء ويصنع كثير منهُ امام الناظرين

وماذا اقول عن معروضات البلدان الاجنبية والرتاج البديع الذي عرضتهُ الولايات المتحدة من البرونز وجعلت اعمدتهُ من الرخام والبرفير وعنبهُ من جبال الحديد ومصراعيهِ من صفاح الحديد وزينتهُ من اعلاهُ باكر النحاس الخالص وعرضت وراءهُ معادنها . او القصر الذي صنعتهُ روسيا من الحديد وعرضت فيهِ معروضاتها الجميلة . وعرض البلجيك العظيم والكور الذي عرضتهُ المجر وجعلت دخانهُ شرائط مشتبكة وملتفة من الحديد والقصدير والفولاذ والنحاس"

وقد دخلتُ المنجم الذي لم يدخلهُ الدكتور ثم فنزلت اليهِ بغرفة تنزل وتصعد وسيرها بطيء ولكنَّ من فيها يظن انها سائرة بهِ بسرعة فائقة وانهُ قطع مئات من الامتار وهو لم يقطع الا امتارًا قليلة وذلك بحيلة انتبه لها ابني قبلي وهي انهم جعلوا احد جوانب هذه الغرفة زجاجًا ووضعوا على جانب البئر التي امامها درجًا طويلاً صوَّروا عليهِ طبقات الارض حتى اذا اخذت الغرفة تنزل اخذ الدرج يصعد فتضاف سرعتها الى سرعتهِ فاذا كانت سرعتها مترين في الثانية وسرعتهُ خمسة امتار ظنَّ من فيها انهُ نزل بسرعة سبعة امتار لكي يحسب المنجم عميقًا

كما تكون المناجم عادة وهي حيلة لطيفة ولو خدعت الرائي . وطفنا في المنجم فرأينا اماكن اقتلاع الفحم الحجري والحديد والملح كما تكون في مناجمها عادة وتماثيل المعدّنين وادواتهم ووسائل الحفر والنسف والنقل والترح والانارة والتهوية وكلها من احدث ما استنبطوهُ واكثرهُ اتقاناً . وقد قصدوا بذلك كلهِ محاكاة الطبيعة حتى كأنَّ من يشاهد هذا المنجم الصناعي قد شاهد المناجم الحقيقية والمعدّنين يعملون فيها . وامرعتُ من هناك الى حيث مُثّلت مناجم الذهب في الترنسفال وكليفورنيا باميركا . وقد ابدع ممثلو مناجم كليفورنيا فصنعوا لها امثلة صغيرة من المعدّنين والمركبات والطلبات والروافع والخوافض وجدارًا يمثل منجماً كبيرًا قطع من اعلاهُ الى اسفلهِ لكي يظهر باطنهُ كلهُ ورمموا فيهِ مطحنة تطحن حجارة الصوان التي يشوبها الذهب ونقّالة تنقل المركبات التي فيها حجارة المعدن من جهة الى اخرى حتى تصل الى المطحنة . والمخازن التي يخزن فيها البارود ونحوهُ والطلبات التي يترح بها الماء من اسافل المناجم . والبيوت التي يأكل فيها المعدّنون والعروق التي يكون الذهب منتشرًا فيها وقد وقف المعدنون امامها او تحتها يقتلعون الحجارة الذهبية منها بمعاولهم او ينقبون الارض بالمثاقب لاكتشاف عروق جديدة او لنسف الصخور . وكل ما في هذا المثال من الرجال والآلات والادوات يتحرك بقوة الكهربائية كأنهُ في منجم حقيقي فيرى المرء بنظرة واحدة ما لا يراهُ في المنجم الحقيقي الاَّ اذا قضى فيهِ ساعات كثيرة . والمثل صغيرة جدًّا كما تقدَّم ولكن اذا امعن المرء نظرهُ في حركاتها ذهب عنهُ تقدير حجمها فحسب انها كبيرة وانهُ يراها عن بُعد فتظهر كذلك لشدَّة انطباقها على الحقيقة . وخرجت من هذا المنجم وانا اودُّ ان ادخل منجمًا مثلهُ في القطر المصري حيث مناجم الذهب القديمة التي كان المصريون الاقدمون والبطالسة من بعدهم يستخرجون منها ما يساوي اربعة ملايين من الجنيهات في السنة كما اوضحهُ الاستاذ سايس حديثًا

ومَّا التفتُّ اليهِ بنوع خاص من معروضات فرنسا في هذا الباب الحجارة الكريمة لارى اختلاف اشكالها والوانها وانطباقها على ما كتبتهُ عنها في فصول متوالية موضوعها الجواهر واقوال العرب فيها فرأيت الناس على ما يعلم من شكلهِ ولونهِ وتألقهِ والياقوت الاحمر والصغير او الياقوت الاسمانجوني وهو ازرق سماوي ولازوردي ونيلي وكحلي وسلقي . والبلخش (البيتال) وهو احمر مغلوق الى الاسود . والزمرُّد ومنهُ ذبابي مغلوق اللون وريحاني مفتوحهُ وسلقي وصابوني . والياقوت الاصفر (توباز) وهو ذهبي اللون او بنفسجيهُ . والبجادي وهو احمر كالياقوت . والزيرقون وهو اخضر واصفر واحمر . والترمالين وهو اخضر ووردي واصفر مغلوق . والفيناكيت وهو ابيض شفاف متألق كالماس . وعين الهر وهو مصفر ومخضر مخطط . والبلور وهو كالماس

لونًا وبريقًا . والكوارتس الرويامي وهو كاتنج الملون بالوان بديعة مبعور من الداخل وردي اللون واحمر وابيض واخضر ورمادي وبنفسجي واصفر . وحجر القمر وهو كالاوبال . وحجر لابرادور وهو كعرق اللؤلؤ الضارب الى الزرقة والخضرة . وعين النمر وهو ضارب الى الصفرة وفيه بقعة مستديرة تمتد منها اشعةٌ تحيط بها . والخلكدوني وهو اصفر كهرماني واخضر فيروزي واحمر ورمادي ومعرَّق . والعقيق وهو احمر مغلوق ومفتوح الى الاصفر ووردي وابيض . والجزع او السليماني وهو احمر واخضر مغلوق . والسردونكس وهو طبقة بيضاء تحتها طبقة محمرَّة او مزرقة . واليشم وهو اخضر مغلوق او فيه شامات حمراء الى غير ذلك مما تعذَّرت عليَّ رؤيتهُ

وبالقرب فرنسا في ما عرضتهُ من انابيب النحاس والصلب وانابيب المدافع فطول بعض انابيب النحاس عشرة امتار وقطرهُ ٧٠ سنتيمترًا وثقلهُ ٢١٠٠ كيلو متر وطول انبوب آخر ١٠ امتار و ٥ ميليمترات وقطرهُ ٧٠ سنتيمترًا وثقلهُ ٢٢٥٠ كيلوغرامًا . وهناك حجر واحد من الحديد المعدني ثقلهُ ٤٥٠٠ كيلوغرام . وكثير من المصنوعات القديمة كالاقفال والمناشير والبياكير والابواب الحديدية ومنها قفل من القرن الخامس عشر ومزلاج من القرن الثاني عشر . وصناديق وجراس قديمة جدًّا . وكل ما يصنع من المعادن بالسبك والتطريق كالكؤوس والملاعق والقدور وما اشبه . وقطعة من مدفع صلب (فولاذ) سمك حديدها ٣٠ سنتيمترًا ونصف سنتيمتر وثقلها ٢٥ طنًّا وثقل الانبوب الذي قطعت ٦٦ طنًّا ولوح حديد سمكهُ نحو ٤٠ سنتيمترًا وقد دخلت فيهِ قنبلة وغارت نحو ٣٠ سنتيمترًا

واشتركت الدول المختلفة في معروضات هذا الباب كما تقدَّم . ومما استوقف نظري بنوع خاص معروضات الولايات المتحدة الاميركية واليابان ونروج . اما الولايات المتحدة فعرضت رسم استخراج الذهب في كليفورنيا وقد اشرتُ اليهِ سابقًا وما لا يقدر من الحجارة المعدنية وزُبَر الحديد والنحاس وغيرها من المعادن ومن ذلك لوح من الصلب قطرهُ ثلاثة امتار و ٢٤ سنتيمترًا وسمكهُ سنتيمتر ومتانتهُ تفوق الوصف فانهُ يحتمل من الضغط ما يساوي ٦٢٢٦٠ رطلاً على كل عقدة مربعة . والحجارة الكريمة من محل تعني الجوهري وبينها كثير من حجارة الياقوت من وادي كوي بولاية كرولينا الشمالية . وكثير من الخشب الذي تحجَّر وصار جزءًا اي انحلت دقائقهُ الخشبية رويدًا رويدًا وحلَّت محلها دقائق من السلكا وتلوَّنت بالاكاسيد المعدنية وهي مثل الاشجار المتحجرة شرقي القاهرة لكن الاميركيين اعتنوا بقطعها صفائح رقيقة مستديرة وجلوها حتى صارت صقيلة كالزجاج يبيعون القطعة منها بمئة ريال او اكثر

ومما يستوقف النظر ايضًا شذور الذهب الكبيرة التي وجدت في تلك البلاد فان بعضها

كبير صقيل كالجوز او اكبر وبعضها مخرب كالاسفنج ومن ذلك شذرة فيها من الذهب ما يساوي ٣٧٢٠ ريالاً . والشذور الصغيرة كثيرة جداً وهناك صندوق مملوء بوريقات التبر . وتجارة معادن الذهب كثيرة الانواع والاشكال يظهر الذهب في بعضها ولا يظهر منهُ شيء في البعض الآخر . ومن الذهب اشكال متبلورة كسعوف النخل المتوالية او كالحبوب المنظومة

ولا يسعني المقام لوصف معروضات الفضة والحديد والفحم الحجري وزيت البترول ونحو ذلك مما يكثر استخراجهُ من الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من البلدان . ولا لوصف الخرائط التي رسمت لمناجمها فانها كثيرة جداً بين معروضات الدول ومستعمراتها كأنَّ شركات استخراج المعادن ترمي مما تجشمتهُ من النفقات في ما عرضتهُ الى غرض تجاري غير الافادة وغير المباهاة وهو ترغيب الناس في ابتياع اسهمها ليغلو ثمنها فيعود ذلك عليها بالربح . وجارت اليابان الممالك الاوربية الكبرى في ما عرضتهُ من معادنها ومصنوعاتها المعدنية فعرضت مجموعة كبيرة شاملة كل ما عُرف حتى الآن من معادنها وهي كثيرة تشمل الذهب والفضة والبلاتين والحديد والنحاس والكبريت والمغنيس والرصاص والانتيمون والزيبق والحجارة الكريمة على انواعها وقد نالت هذه المجموعة الجائزة الكبرى . وعرضت كثيراً من الخرائط الجيولوجية والمعدنية اظهاراً لكثرة المقالع في ارضها وتنوُّع بلاطها ومرمرها واخذت شأن الذهب على ما عرضتهُ من الكبريت وعلى ما عرضتهُ من الفحم الحجري وهو ممثل القوة الصناعية كما لا يخفى فاذا وُفِّقت بلاد الى كثرته فيها وعرفت كيف تستخرجهُ وتستعملهُ كُفِل لها النجاح والارتقاء

ومن البلدان الاوربية الصغيرة التي ابدعت في ما عرضتهُ في هذا الباب بلاد بروج فانها عرضت انواع رخامها ومرمرها ومنها نوع اسود كالسبج فيهِ قطع صغيرة تتألق بالوان مختلفة كعنق الحمام وقد عرضت متهُ عمودين كبيرين وصفائح كثيرة منهُ ومن غيرهِ وعرضت ايضاً انواع معادنها ومنها سبائك كبيرة من الفضة طول السبيكة منها نصف متر وعرضها نحو ١٥ سنتمتراً وشذور الفضة الطبيعية وهي كاسلاك الدمقس المفتل

اما الآلات التي تصنع بها الادوات المعدنية الصغيرة كالملاعق والاقلام والحلى والازرار فحدِّث عن سرعتها واتقانها ولا حرج لكنها لا تغني عن العمال ولا عمل هذه المصنوعات خالٍ من كل مشقة فقد رأيت زر النحاس الذي يباع بغرش او اقل يمرُّ على عمَّال كثيرين وآلات مختلفة قبل يتمُّ عملهُ ويهذَّب ويذهَّب ويصقل . ولولا كثرة المصنوعات ورواج التجارة ما استطاع الاوربيون ان يرخصوا بضائعهم الى هذا الحد فاذا اردنا تجاراتهم في الصناعة وجب ان نقتدر على ما يكثر رواجهُ في بلادنا او نفتح اسواقاً لمصنوعاتنا حتى تنافس بها البلدان الصناعية